

وقف الكتب في الحضارة الإسلامية

المسيرة والمآل والمأمول

من مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،

معهد المخطوطات العربية (تراثنا)

النشر الرقمي باعتماد المعهد - السلسلة المحكمة (٥٠)، كتب (٤)

إعداد:

أحمد سالم عوض حسان

تعريف عام بالمؤلف / الباحث:

هو أحمد سالم عوض حسان، درس في كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ثم نال درجة الماجستير من كلية دار العلوم جامعة المنيا في ٢٠١٨م، عن أطروحة بعنوان: «الأبعاد التداولية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي دراسة تحليلية». كما حصل على دبلوم بحوث ودراسات التراث والمخطوط، من معهد البحوث والدراسات العربية، بمصر، عام ٢٠١٩م.

الهدف العام للمادة العلمية:

تهدف الدراسة إلى التعريف بأهمية المخطوطات وقيمتها في الحضارة الإسلامية، والتأصيل الشرعي لوقف الكتب في الفقه الإسلامي والملكية الفكرية. وعرض وجه من وجوه مجتمع المعرفة في الحضارة الإسلامية، وسرد لرحلة وقف المخطوط الإسلامي من الإرهاصات إلى الانكماش. وبيان المعالم العامة لوقف المخطوطات في الحضارة الإسلامية، ومقترح لسبل إحياء وقف الكتب في العصر الراهن.

الكلمات المفتاحية:

أوقاف الكتب، مقاصد الوقف، مجتمع المعرفة، اقتصاد المعرفة، التراث الثقافي.

أهمية المادة العلمية:

ترجع أهمية تلك الدراسة ودوافعها إلى الحاجة الملحة التي تحتاجها المخطوطات العربية في الدول العربية والإسلامية؛ نظرًا إلى تنابع المخاطر وتراكم السلبات المحيطة بها مما يؤدي إلى افتقارنا للتراث المعرفي في الحضارة الإسلامية وثمرته، ومن تلك الدوافع:

١. انكماش حجم الأوقاف في المجتمعات الإسلامية بسبب متغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية مما ينبئ بمزيد من التراجع الحضاري إذا لم تحدث نهضة مجتمعية معرفية تستدرك هذا التراجع، باستعمال فاعلية الوقف وقدرته على القيام بعمل كبير من هذه المهمة النهضوية
٢. تجربة الوقف في الحضارة الإسلامية كانت في غاية النجاح، حيث ساعدت في إثراء مجتمع المعرفة وإبراز تلك التجربة لاستنهاض الهمم وإحياء التجربة مرة أخرى نظرًا إلى وجود نفس البواعث التي أنجحت التجربة الوقفية في الماضي.
٣. نجاح تجربة الوقف في الدول الغربية في العصر الحديث وإتيانها بثمار مبهرة، وقيامها بعمل تعجز عنه كثير من الحكومات في غيرها من الدول الأخرى.
٤. سرعة تطور مجتمع المعرفة يدعونا للإسراع في تقويم الصورة التي نحن عليها في الوضع الحالي وبيان سبل اللحاق والمواكبة.

أبرز موضوعات المادة العلمية:

تتناول الدراسة ظاهرة أوقاف الكتب في الحضارة الإسلامية التي ظلت رافدًا رئيسًا في خدمة النشاط المعرفي، ويتمتع هذا الرافد بالتدفق والثراء مُقدِّمًا المنفعة العامة للعلماء والطلاب، كما تستعرض الدراسة مجتمع المعرفة الإسلامية في ضوء ظاهرة أوقاف الكتب، وتتطرق في عرض موجز لقضايا ذات صلة بها.

وقد قام الباحث بتقسيم الدراسة إلى مدخل تمهيدي وخمسة فصول وخاتمة، عَرَضَ في المقدمة أهمية الدراسة والمنازع للولوج فيها وأهدافها، ومنهجيتها، وفرضياتها، وخطتها.

أما المدخل التمهيدي فقد تناول مصطلحات (المخطوط - الوقف - مجتمع المعرفة)، كما تعرّض لمقاصد وقف الكتب في الحضارة الإسلامية.

وأما الفصل الأول فقد جاء تحت عنوان: (التأصيل الشرعي لوقف المخطوطات وأدلته وأثره في الملكية الفكرية)، وسرد أدلة الوقف عمومًا ووقف الكتب خصوصًا في مصادر التشريع الإسلامية، وأنواع الوقف وحكم الوقف المنقول، والوقف بين التأييد والتوقيف وشرط الواقف، والملكية الفكرية وأوقاف المخطوطات، وعرّج على الملكية الفكرية بين الشريعة الإسلامية والقوانين المعاصرة، ثم أثر وقف المخطوطات في الحضارة الإسلامية والملكية الفكرية.

وأما الفصل الثاني الذي هو بعنوان: (وقف المخطوطات وتطوره في عصور الحضارة الإسلامية) فقد تعرّض فيه للإرهاصات الأولى لوقف الكتاب في العصر الأموي، ثم تناول عصر النهوض والانتشار في العصر العباسي، مُعَرِّجًا على وقف المخطوطات في زمن الفاطميين، ثم تناول عصر الازدهار والإبداع في العصر المملوكي، وصولًا إلى العصر العثماني وما حمله من استقرار وصمود، تبعه تبديد وقوف وضياعها، فخرسها العصر الحديث وما فيه من آلام نعيشها وآمال نرجوها.

وأما الفصل الثالث المعنون بـ (أوقاف المخطوطات وبناء مجتمع المعرفة بين الواقع والمأمول) فقد عرض فيه بعض المخاطر التي تلبست بأوقاف الكتب، ومَثَّلَ بالإعارة التي هي ثمرة من ثمار وقف الكتب في خدمة مجتمع المعرفة في التراث، ثم أوقاف المخطوطات وعصر المعلومات، وعرض للوضع القائم للمخطوطات العربية ومقترح لصندوق وقف لخدمة التراث المخطوط وإحيائه.

وتلته خاتمة الدراسة التي عرضت لأبرز النتائج التي خرجت بها الدراسة والتوصيات التي تدعو إليها.

أبرز التوصيات والنتائج:

من أبرز النتائج:

١. دعم وقف الكتب في الحضارة الإسلامية الحركة المعرفية أدى إلى رواج صناعة الكتاب وزيادة التصنيف وخدمة طرق التلقي والتداول المعرفي من المطالعة والنسخة والاستعارة... إلخ.
٢. شاركت جميع عناصر المجتمع من السلاطين والأمراء والأعيان والعلماء والأدباء وعموم المجتمع رجالاً ونساءً وأطفالاً في وقف الكتب.
٣. كان وقف المكتبات من أبرز وسائل الحماية والمحافظة على الملكية الفكرية في التراث.
٤. تنوعت الجهات التي وقف عليها الكتب في الحضارة الإسلامية من المساجد وخزائن الكتب وبيوت الحكمة والمدارس والكتاتيب؛ نتيجة لتنوع الأغراض المعرفية.
٥. تجربة الوقف تجربة راسخة في الحضارة الإسلامية يسهل إنعاشها من جديد؛ لتقوم بالرسالة التي كانت تقوم بها في بناء مجتمع المعرفة في الحضارة الإسلامية.

من أهم التوصيات:

١. تأسيس صندوق وقفي تقتصر رسالته على خدمة كل ما له صلة بالمخطوطات الإسلامية.
٢. تجنب مواكبة الطفرات السريعة في عالم المعلومات والبيانات والخروج من دائرة البحث التقليدي للانضمام لمجتمع المعرفة المعاصر.
٣. إنشاء قاعدة بيانات للأعمال التراثية تشارك بها المؤسسات الحكومية والخاصة (الاستثمارية والخيرية) إضافةً إلى أصحاب الخزائن الخاصة.
٤. إنشاء فهرس إلكتروني شامل لمخطوطات التراث العربي الإسلامي في أنحاء العالم لرصد المنتج الثقافي الممتد أربعة عشر قرناً، ومعرفة أماكن نسخه الخطية وبياناتها وسبل الحصول عليها.
٥. إنشاء قاعدة بيانات لأعضاء مجتمع المعرفة في الحضارة الإسلامية.

تعليق ختامي على البحث:

هذه الدراسة ذات أهميّة عظيمة؛ فالسبيل الحقيقي للتنمية والنهضة والنمو الحضاري ينبثق من المعرفة، وبناء مجتمع معرفي حقيقي أصيل يتمتع ببنية تحتية راسخة الدعائم تواجه التقلبات العالمية، وما زال الكتاب يُمثِّل لبَّ العملية المعرفية، وقد أثبت الوقف على العمليات المعرفية والكتب والمكتبات أنه من أنجع سبل النهضة والبناء المعرفي المستدام، وإن تاريخ الحضارة الإسلامية عبر أربعة عشر قرناً والتجربة الغربية المعاصرة يشهدان على ذلك.